

"إن تاريخ سويسرا لا يُكتب فقط فوق ثرابها"

بقلم : أورس غايزر وصونيا فيناتزي - swissinfo.ch

ينادي بعض الخبراء المرموقين بتأسيس معهد خاص ومعجم لتوثيق مختلف الدراسات التي تطرقت لتاريخ الهجرة السويسرية. ويقولون إن إلقاء نظرة خارجية على هذا الموضوع الواسع، يعتبر أمراً ضرورياً.

إن التطرق لموضوع الهجرة من زاوية أوسع، سيسمح بإعطاء صورة كاملة وشاملة عن طبيعة المهاجرين السويسريين، بما في ذلك الأسباب المختلفة والمتعددة التي دفعتهم للهجرة إلى الخارج طوال القرن الماضي، والتأثيرات التي أحدثوها في البلدان التي اختاروا الاستقرار فيها.

يُناهِز حالياً عدد المغتربين السويسريين 700 ألف، ومع ذلك، لم تكن تتوفر أية معطيات جديدة عن هذا الموضوع قبل النصف الثاني من القرن العشرين.

ويرى ليو شيلبرت، الأستاذ السابق بجامعة إيلينوا بشيكاغو، أن الوقت قد حان لكي يتم تلخيص كل الأعمال التي تم إنجازها حول هذا الموضوع، أو تلك التي هي بصدد الإعداد حالياً.

ويشرح شيلبرت ذلك بقوله: "يبدو أن الجيل الصاعد من الأكاديميين يتميز بانفتاح أكثر في معالجته لموضوع المهاجرين السويسريين". ثم إن العولمة، وتطور وسائل الاتصال المعاصرة، وبالأخص شبكة الإنترنت، عملت على زيادة الوعي بـ "المصير المشترك لسويسريي الداخل وسويسريي الخارج".

أما بريجيت شتودر، أستاذة التاريخ بجامعة برن، فتعتبر هذا الاهتمام الكبير بموضوع سويسريي الخارج في إطار أكاديمي، بمثابة "تبادل للقيم الثقافية". وتوضح قائلة: "إن الأمر يتعلق بالتخلي عن النظر إلى التاريخ السويسري بشكل جزئي، والتمكن من الحصول على نظرة وطنية، والتعرف على كيفية رواج الأفكار عبر الحدود".

وحذرت شتودر من مخاوف فقدان معلومات هامة عن المغتربين إذا ما لم يتم القيام بمجهود جاد لتركيز الأبحاث وإعطائها الطابع الرسمي.

اهتمام متعاظم

ورحبت السيدة شتودر باقتراحات شيلبرت، وانضم لها في ذلك زميلها جورج كرايس، الأستاذ بجامعة بازل، إذ يرى هذا الأخير بأن هناك علاقة بين الديناميكية المستمرة للمجتمع، وبين ما يبدو على أنه كثرة الدراسات التاريخية المتعلقة بالجالية المغتربة.

ويبدي كرايس اقتناعاً بأن هذا الجانب من التاريخ يستحق العناية، لكنه يحذر من خطر إثقال مناهج التعليم الجامعي به. وأضاف ضمن هذا السياق بأن هناك معاهد تعنى بمواضيع الهجرة، لاسيما في جامعة نوشاتل.

واستناداً إلى الردود المشجعة التي تلقاها من الأوساط الأكاديمية، يرى شيلبرت بأن هناك فرصاً للتعاون بين الجامعات السويسرية ومؤسسات أخرى. وعبر عن أمله هذا بالقول: "تتلخص فكرتي في إمكانية الربط بشكل وثيق بين إقامة معهد يُعنى بتاريخ المغتربين السويسريين، وبين المتاحف والمدارس لأن المعرفة والمعلومات التي يتم العثور عليها يجب ألا تبقى مخزونة في أبراج عاجية، بل ينبغي توزيعها ونشرها على أوسع نطاق لكي تعمل على صقل ذاكرتنا الوطنية الجماعية".

تغيير في الأدوار

ساشا زالا، مدير مشروع الأبحاث الخاص بالوثائق الدبلوماسية السويسرية، سلط من جانبه الضوء على بوادر التغيير في الاستراتيجية التي تنتهجها السلطات الفدرالية. فالجالية السويسرية في الخارج، استُخدمت في الفترة ما بين خمسينات وستينات



سويسرون في أستراليا قبل حوالي 100 عام: الإخوة لافرانشي على شاطئهم أمام فندق "الجبال السويسرية" في بلامبيد (Courtesy: Debra Talbot)

القرن الماضي كأداة لتحسين صورة سويسرا في الخارج. ويقول في هذا الصدد: "إنها كانت عبارة عن امتداد لنظام الميليشيا الذي تم اختياره وتجربته في داخل البلاد. غير أن الدولة تمثل في هذه الحالة بأعضاء المجتمع المدني".

ولم يبدأ المغتربون السويسريون يتحدثون بصوت واحد إلا في عام 1916، أي لما تأسست جماعة ضغط على المستوى الفدرالي. وقد أنشأت جمعية سويسريي الخارج من قبل أعضاء محافظين من الجالية، في الوقت الذي كانت فيه غالبية المهاجرين من ذوي التوجهات الليبرالية عموماً.

ولحد هذه الفترة، ظلت الدولة تعتبر الهجرة قضية شخصية تعني الفرد، في الوقت الذي كانت فيه السلطات المحلية (الكانتونات والبلديات) تشجع في أغلب الأحيان سكانها الفقراء على مغادرة وطنهم والبحث عن فرص أحسن في مناطق أخرى.

دروس وتحديات

وفي ندوة عُقدت مؤخراً حول تاريخ الهجرة السويسرية، أشار كرايس إلى أهمية الاعتناء بدراسة العلاقة بين تجارب الحياة اليومية بالتركيز على بعض المسائل التجريدية مثل ازدواج الهوية، والعلاقة مع باقي البلدان والفئات الاجتماعية والأجناس. وقال بهذا الشأن "إن ذلك يسمح لنا بمعرفة كيف تعامل الفرد مع محيطه الجديد".

أما السيدة شتودر فتشدد من جهتها على تأثير الدولة والمؤسسات العمومية الأخرى، والاقتصاد والثقافة، قائلة: "إن تاريخ سويسرا لا يُكتب فقط فوق التراب السويسري، ولكن أيضاً في أماكن أخرى".

لذا، تضيف السيدة شتودر، بأن إقامة معجم خاص سيسلط الضوء على هذا الجانب، خصوصاً وأن البلاد ظلت لفترة جزءاً لا يتجزأ من عالم معولم، وأن التركيز اقتصر فقط على الماضي الذي حدث داخل سويسرا.

إعطاء مغزى لتاريخ المغتربين قد يُضاعف من عمل الباحثين، بحيث يقول شيلبرت: "عليك أن تراعي في هذه الحالة بيئتين: أن تعرف من أين أتى المهاجرون، وكيف كانت خلفيتهم. كما عليك أيضاً أن تفهم بيئتهم الجديدة".

وفي الوقت الذي تم فيه الاعتماد على المصادر التقليدية مثل الوثائق المكتوبة، يذهب شيلبرت إلى أبعد من ذلك باقتراح قبول السير الذاتية للأفراد التي يصفون فيها التجارب التي مروا بها.

الحلقات المفقودة

ويتفق الخبراء على ضرورة التركيز بالدرجة الأولى على الجوانب التاريخية التي كانت مُهملة، إذ اقترح كرايس أن تتم مراجعة نقدية لكيفية اتخاذ قرار الهجرة، في الوقت الذي عبر فيه كل من شتودر وزالا عن الأمل في اهتمام الباحثين بتاريخ المغتربين الذين عادوا للوطن، أي أولئك الذين عادوا إلى أصولهم السويسرية حاملين، ليس فقط الثروة والمال، بل أيضاً رصيذاً من ثقافات مختلفة.

وقال كرايس: "لقد تم لحد اليوم التطرق لدراسة الظاهرة على المستوى المحلي فقط، لذلك هناك حاجة إلى دراستها بشكل منهجي وأكثر شمولية".

وعلى الرغم من كل هذا، يبدو أن هناك إجماعاً بين الأكاديميين حول ضرورة بذل مزيد من الجهد الذهني وتخصيص مزيد من الوقت لدراسة العلاقة بين الهجرة من سويسرا والهجرة إليها.

وتقول السيدة ستودر: "لقد تم التطرق لذلك لحد الآن في اتجاه واحد". أما كرايس فأضاف "إن النقاش المتوتر اليوم حول الهجرة يعمل على حجب الرؤيا عن إلقاء نظرة شاملة على موضوع الهجرة البشرية وتنقل الأفراد".

أورس غايزر وصونيا فيناتزي - swissinfo.ch
(نقله إلى العربية وعالجه: محمد شريف)

سياسة سويسرية



العودة إلى سويسرا

عودة المغتربين إلى سويسرا لم تكن دوماً تلقى الترحيب الحار، كما تُظهر عينة من الصور...

إحصائيات

يشير تقرير منتدى الهجرة والدراسات السكانية الذي نُشر في عام 2010 إلى أن الإحصائيات الموثوق منها عن عدد المهاجرين السويسريين حتى منتصف القرن العشرين كانت قليلة.

ولم تظهر إحصائيات وزارة الخارجية حول الهجرة إلا في عام 1926. وتغطي فقط الأشخاص المسجلين في القنصليات السويسرية في الخارج.

ويعتمد المؤرخون بالدرجة الأولى على سجلات السلطات المحلية الخاصة بالمغتربين، أو على المعلومات التي تقدمها الدول المستقبلية لهذه الهجرة، إضافة إلى عمليات الإحصاء أو المسح الجزئي التي تنجز ضمن بعض الدراسات.

ويقول الخبراء لقد تمت المبالغة في أغلب الأحيان في تقدير حجم الهجرة السويسرية خلال القرن التاسع عشر إلى بلدان خارج القارة الأوروبية مقارنة مع الهجرة المضطربة والقليلة التي كانت في داخل القارة العتيقة، وبالأخص لبلدان مجاورة مثل ألمانيا وفرنسا وإيطاليا.

ويعيش حالياً حوالي 700 ألف مغترب سويسري في الخارج.

سويسرا في الخارج

نُظمت ندوة ليوم واحد في جامعة برن، تطرقت للجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والقانونية والدينية للهجرة ما بين القرنين الرابع عشر والواحد والعشرين.

وتم التطرق للعديد من المواضيع الممتدة من المرتزقة، للمبشرين، مروراً بجوانب الضمان الاجتماعي أو التاريخ. كما تم فيها عرض تاريخ إذاعة سويسرا العالمية التي تعتبر سلف www.swissinfo.ch.

وأشرف على تنظيم المنتدى جمعية التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بالاشتراك مع مشروع الأبحاث الخاصة بالوثائق الدبلوماسية السويسرية، وجمعية علم الشعوب.

وصلات

[منظمة السويسريين في الخارج](#)

[وزارة الخارجية السويسرية](#)

[المكتب الفدرالي للهجرة](#)

[المنتدى السويسري لدراسات الهجرة والسكان](#)

[الوثائق الدبلوماسية لسويسرا](#)

[جورج كرايس](#)

[بريجيت شتودر - جامعة برن](#)

[ليو شيلبرت](#)

وصلة هذا المقال

<http://www.swissinfo.ch/ara/detail/content.html?cid=33286080>

إغلاق